تشكيل

أعلنت ملاك جميل رئيسة جمعية «كهرمانة للفنون» عن إقامة معرض عربي جماعي في مدينة المنستير التونسية تحت عنوان «الفن رسالة الشعوب» في سبتمبر المقبل.

قرر مركز «رؤى 32 للفنون» في العاصمة الأردنية عمان تمديد معرض النحت «نوافذ مشفرة» للفنان العراقي علوان العلوان، والذي سيستمر حتى نهاية شهر يونيو الحالي.

فنانة لبنانية ترسم تقاسيم غير مكتملة للوداع

● غريتا نوفل تفتح صندوق الموسيقى المغيب متممة عن والدها لحنه الأخير

"تقاسيم غير مكتملة"، هو العنوان الذي أطلقته الفنانة اللبنانية غريتا نوفل على معرضها الجديد المقام في صالة "جانين ربيز" اللبنانية، وبطريقتها الخاصة كرّمت الفنانة والدها الموسيقار وعازف العود جورج نوفل الذي تتلمذ على يد فريد غصن عازف العود الشهير، بمجموعة من اللوحات والأعمال التجهيزية التي تدور كلها حول منجز الوالد الموسيقار الذي غابت الكثير من أعماله تحت ستائر الإهمال الغليظة.

نوتة الألوان السحرية

❑ **بيروت** – تكثر على الساحة البيروتية التشكيلية في الفترة الأخيرة، وربما عن طريق المُصادفة، معارض فنية تتناول علاقة الموسيقى بالفن التشكيلي بشكل مباشر وغير مباشر، نذكر على سبيل المثال معرض الفنان الموسيقار وليد نحاس والفنانة دورين خنامريان الزين والفنان شوقي شمعون.

وهذا بالطبع ليس بجديد لا في لبنان ولا خارجه، لكن يمكن القول إن ما يميز "التجربة اللبنانية" الحالية هو هذا التناغم، لا بل الاتحاد ما بين تجريدية السماع والبصر في تجليات شكلية يُمكن تلقفها دون صعوبة، لأنها خارج منطق الإبهام والغموض الذي غالبا ما يرافق مثل هذا النوع من الأعمال الفنية. ولعل معرض الفنانة غريتا نوفل (مواليد بيروت عام 1955) المقام حاليا بصالة "جانين ربيز" البيروتية، والمعنون بـ"تقاسيم غير مكتملة"، هو أكثر ما يؤكد على هذا الإلحاح على استنطاق الموسيقى، ليس عبر ما تترك من أثر في نفس الفنان، بل في تجلياتها الشكلية التي تذكر كثيرا بالمدرسة البنائية/التركيبية الفنية التي ولدت في الخمسينات من القرن الماضي على أسس تعود إلى عالم الهندسة المعمارية. وبالتالي لن تترك أعمال الفنانة في نفس المشاهد، أي أصداء عاطفية على الرغم من عاطفية وحميمية الموضوع الذي تتناوله بأدق تفاصيله المُباشرة والإيحائية على حد السواء.

ربما سيغادر زائر المعرض الصالة وذكرى بناء تجريدي في باله، وقد نبتت أغصانه كشجرة عنيدة لن يهزّ جذعها شيء ولا حتى مرور الزمن، ولا حتى وطأة الذكريات الجميلة منها والحزينة.

فكرة المعرض انطلقت حين اكتشفت الفنانة صناديق مُغلقة وضع فيها والدها خمسين سنة من شغفه بالموسيقى الشرقية، وذلك من خلال تسجيلات صوتية لموسيقاه ولمدونات ورقية خط عليها اجتهاداته في التأليف الموسيقي.

وذكرت الفنانة أنها أمام غزارة ما شاهدت وسمعت لم تعرف في البداية من أين تبدأ؟ هل بأرشفة أعماله قبل أن يتلفها الزمن والإهمال أم بسرد "حكاية" التسجيلات والأوراق المُتداخلة مع ذكرياتها الشخصية بطريقتها الخاصة كفنانة، أي عبر أعمال فنية تشهد على علاقتها الوطيدة بالوالد بالتوازي مع علاقة الفن التشكيلي بالموسيقى؟

تمّ البدء بالأمرين، أي بالاشتغال على الأعمال الفنية والتجهيزية من جهة وتجميع وترميم الأشرطة التسجيلية من جهة ثانية، ليسيرا في توازٍ يليق بعمق التجربة الشخصية/الفنية.

وستباشر غريتا نوفل في المرحلة الثانية خلال الصيف القادم تحويل كل موسيقاه إلى تسجيلات رقمية، لتقيها من التلف ولتعيد إحياء حضورها على الساحة الفنية.

ليس في المعرض أي قطعة موسيقى يُمكن سماعها، ولكن ثمة الكثير لرؤيته وللتفكر فيه وفي كنهه وفي كيفية بنيانه من ضمن نص بصري تمرست الفنانة طويلا بممارسته.

نص تجاوز المُباشر وهو في الآن ذاته في صلب الخوض في غماره وفي أدواته الظاهرية كشرائط الكاسيتات وحوافظها البلاستيكية التي أعادت المُشاهد سريعا وعميقا إلى زمن الثمانينات والتسعينات من القرن الفائت، أي إلى عزّ أيام الحرب اللبنانية، حينما كانت هذه "المستطيلات البلاستيكية" عبارة عن قوارب نجاة افتراضية تأخذ بخيال المُستمع إليها بعيدا عن كل ما أثقل كاهله وعايش فصوله العبثية لمدة تفوق الخمسة عشر عاما.

في المعرض سترة تشبه درعا نسجته الفنانة من شرائط الكاسيتات الفارغة وتلك التي أتلفها الزمن، وربما يردنا هذا الدرع إلى محتواه أو إلى مادته الأولية وهي الموسيقى المعزوفة أو المؤلفة ضد عبثية الوجود بشكل عام وعبثية الحرب بشكل خاص.

في أرجاء الصالة أيضا لوحات حبكت فيها الفنانة بطريقتها الكولاجية الخاصة قصاصات من كتابات الموسيقار مع مساحات بيضاء تحاكي السكون، وبه تفتح المجال لنطق السكون و"التردد" الموسيقي إلى آفاق مستقبلية بعيدا عن عتمة الصناديق المُقفلة.

وفي وسط الصالة تضع الفنانة عملا تجهيزيا قوامه إسطوانة تشكلت من نسيج الشرائط التسجيلية الفارغة والمتقطعة التي عثرت عليها في الصناديق، وكأنها في ذلك تحاول "سحريا" إعادة تدويرها لتكون تلك المادة الأساسية التي حلم والدها بأن يدمغ عليها بصماته الموسيقية.

واشتهرت نوفل بأعمالها التي تتناول الحرب اللبنانية بأسلوب خاص استخدمت فيه عوالم موسيقى الجاز لكي تعبر عن التصدع والترقب والأمل ولانهائية الاحتمالات، وحسّ مواجهة الموت، كما تولت ترجمة نبرات موسيقى الجاز الارتجالية في أشكال وأعمال بصرية أضافت إليها شذرات من مراحل مختلفة من حياتها الفنية.

"نظريات بصرية"، وجدت طريقها إلى لوحاتها التشكيلية حاملة منطق الكولاج وفلسفته الخاصة، لتخبر الناظر إليها عن أنواع وأشكال العلاقة التي تربط ما بين القيم اللونية والشكلية، والتفلتات الارتجالية التي تعرفها جيدا الموسيقى الشرقية، كما تعرفها ولو بشكل مختلف موسيقى الجاز.

ووقعت غريتا نوفل خلال أيام المعرض كتابها الفني المعنون بـ"نبضات الجاز"، كتابا يشهد على عشقها لموسيقى الجاز، رفيقها الأساسي في حياة بدأت ونضجت في أجواء الحرب اللبنانية، وقد ذكرت الفنانة في أكثر من مناسبة كيف كانت أصوات القذائف والرصاص المُتفرق تُسمع عن بُعد في الليالي التي كانت تحضر فيها حفلات الجاز في مقهى "البلونوت" الشهير الذي وشم ذاكرة معظم جيل الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بأجمل الذكريات.

* م.ع

حلمي التوني يشكل في اللوحة مصر الأنثى

تمتد اهتمامات الفنان المصري حلمي التوني من الرسم والتصوير، إلى الكاريكاتير والرسوم الصحافية والتصاميم الغرافيكية، حيث يتعامل مع كل وسيط من هذه الوسائط بنفس القدر من الاهتمام والروح الإبداعية، كما يربط بينها بخيط من المفردات والعناصر تكاد تكون له وحده دون غيره من المصورين والمصممين المصريين.

ناهد خزام

❑ **القاهرة** – تتخذ المرأة مكانة فريدة في رسومات التشكيلي المصري حلمي التوني، حيث يحتفي بها كرمز قبل أن يتعامل معها كمكون جمالي من مكونات اللوحة.

وفي معرضه الأخير الذي استضافته قاعة "بيكاسو للفنون" في القاهرة تحت عنوان "عندما يأتي المساء" يفرد للمرأة مساحة للبوح والتواصل مع غيرها من المفردات والعناصر الأخرى من مكونات العمل، في الوقت الذي يضعها في مكانتها اللائقة كبؤرة للصراع البصري بين هذه المكونات.

و"عندما يأتي المساء" هو عنوان ذو مغزى استلهمه التوني من كلمات الأغنية الشهيرة للموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب، فالمساء في لوحات التوني وقت مستقطع للتأمل والمراجعة، وحالة دالة على ما يمر به الوطن، وهو المهموم به دائما، فقد كانت أعماله خلال السنوات الخمس الماضية انعكاسا لما يحدث على الساحة من مخاض وحراك سياسي واجتماعي. وعبر الفنان عن الثورة في لحظات انتصارها وانكسارها، عن فرحة المصريين بالانعتاق ثم خيبتهم بما حملته السنوات اللاحقة، وهو الآن يستشعر هذا الوجع الكامن في النفوس، فيوظف عناصره في علاقات دالة تعكس ذلك الوجع.

وفي لوحاته الجديدة التي تهيمن عليها خلفيات قاتمة تبدو المرأة وطنا شاسعا بعيونها الواسعة وملامحها الرائقة، امرأة خلابة التفاصيل تنتمي إليه وحده من دون غيره من الرسامين. وكعادته يوازن التوني بين عمق الفكرة وسلاسة الرؤية وبساطتها دون تعقيد أو شطط فكري يربك المتلقي أيا كانت ثقافته، وينهل من الموروث ومفرداته المحببة في الثقافة الشعبية ويوظفه داخل العمل في تناسق لوني يميل إلى الدرجات الزاهية والمبهجة.

قبل سنوات أفرد حلمي التوني معرضا كاملا للملكة الفرعونية "نفرتاري" وهي إحدى زوجات الفرعون رمسيس الثاني أحد أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشرة، ولم يكن المعرض مجرد احتفاء بملكة تعد إحدى أشهر الشخصيات في التاريخ الفرعوني، بل كان احتفاءً بالتاريخ المصري القديم ورموزه.

قصائد بصرية بطلاتها نساء

هكذا يفعل حلمي التوني، يبحث وينقب عما توارى من جمال، ويقدمه للمشاهد شفافا ومبهجا وساحرا، إنها غواية تملكته منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي، غواية البحث والتنقيب عن هذه الأشياء المستقرة في دهاليز الذاكرة، وكانت نفرتاري مجرد نموذج.

وعلى هذا المنوال يجمع التوني مفرداته وعناصره من سجلات التاريخ، ومن بين ركام الذاكرة المسجلة على قلائد وأقراط الجدات، والنقوش المنحوتة على أبواب البيوت الخشبية القديمة. آتيا بتلك العناصر وغيرها، وزاد عليها من عنده خيالا جامحا، هو لا يتوقف عند الصياغات المكررة، بل يتخطاها بالحذف تارة والإضافة تارة أخرى، حتى تستوي جلية براقة، كأنها ولدت لتوها من العدم، أو كأنها لا تنتمي إلى أحد سواه.

وتتمتع أعمال حلمي التوني برصانة التكوين، وبلاغة المشهد وصفاء اللون في آن واحد، مستلهما في معظم أعماله ذلك الموروث الشعبي ومرتكزا على ذخيرة لا تنضب من المفردات والعناصر المنتمية إلى روح التذكّر، وظل في سبيل ذلك يبحث ويجمع ويدقق لسنوات في مفردات وتجليات الموروث الشعبي الذي يمثل من وجهة نظره بوتقة كبيرة انصهرت فيها وتفاعلت كل العصور والحقب التي مرت على مصر، بدءًا من الفرعونية إلى الإسلامية مرورا بالقبطية واليونانية.

وبدأ الفنان في رحلة استلهامه للفن الشعبي مقلدا وناسخا لمفردات وعناصر هذا الموروث، لكنه سرعان ما تحول إلى مرحلة أخرى بعد أن تشبعت روحه وذاكرته البصرية بالمئات من الأشكال والرموز والدلالات الخاصة، فاستطاع أن يخلق لنفسه رموزه وعناصره التي تنتمي إليه، دون أن يقطع حبال التواصل مع فنه الذي أبحر فيه لسنوات وذابت روحه في تجلياته ودلالاته المختلفة.

وحين قرر التوني الالتجاء إلى الفن الشعبي إنما فعل ذلك لهوى شخصي، ثم لرغبته في العودة إلى الأصول والبدء منها كما فعل فنانو عصر النهضة الأوروبية حين استلهموا فنون الحضارة الرومانية وأعادوا بناء صروحها التي تهدمت، ثم انطلقوا من خلالها إلى رحاب أخرى أوسع وأكثر ثراءً.

ورغم استقرار التوني الفني وتميز مفرداته وأشكاله وعناصره بطريقة لا تخطئها العين، إلا أنه لا يُشعر المتابع لأعماله بالرتابة أو التكرار، يدهشه بالجديد في كل مرة، يفعل ذلك عن قناعة راسخة بأن التغيير هو سنة الفن كما هو سنة الحياة.

> **المساء في لوحات التوني وقت مستقطع للتأمل والمراجعة، وحالة دالة على ما يمر به الوطن، وهو المهموم به دائما**

آن واحد، مستلهما في معظم أعماله ذلك الموروث الشعبي ومرتكزا على ذخيرة لا تنضب من المفردات والعناصر المنتمية إلى روح التذكّر، وظل في سبيل ذلك يبحث ويجمع ويدقق لسنوات في مفردات وتجليات الموروث الشعبي الذي يمثل من وجهة نظره بوتقة كبيرة انصهرت فيها وتفاعلت كل العصور والحقب التي مرت على مصر، بدءًا من الفرعونية إلى الإسلامية مرورا بالقبطية واليونانية.

وبدأ الفنان في رحلة استلهامه للفن الشعبي مقلدا وناسخا لمفردات وعناصر هذا الموروث، لكنه سرعان ما تحول إلى مرحلة أخرى بعد أن تشبعت روحه وذاكرته البصرية بالمئات من الأشكال والرموز والدلالات الخاصة، فاستطاع أن يخلق لنفسه رموزه وعناصره التي تنتمي إليه، دون أن يقطع حبال التواصل مع فنه الذي أبحر فيه لسنوات وذابت روحه في تجلياته ودلالاته المختلفة.

وحين قرر التوني الالتجاء إلى الفن الشعبي إنما فعل ذلك لهوى شخصي، ثم لرغبته في العودة إلى الأصول والبدء منها كما فعل فنانو عصر النهضة الأوروبية حين استلهموا فنون الحضارة الرومانية وأعادوا بناء صروحها التي تهدمت، ثم انطلقوا من خلالها إلى رحاب أخرى أوسع وأكثر ثراءً.

ورغم استقرار التوني الفني وتميز مفرداته وأشكاله وعناصره بطريقة لا تخطئها العين، إلا أنه لا يُشعر المتابع لأعماله بالرتابة أو التكرار، يدهشه بالجديد في كل مرة، يفعل ذلك عن قناعة راسخة بأن التغيير هو سنة الفن كما هو سنة الحياة.

وهم أوزفيل

ميموزا العراوي

ناقدة لبنانية

❑ ساحر مدينة "أووز" في نسختها اللبنانية هو الفنان/المواطن عياد ناصر، أما البقعة الغرافية لهذه المدينة الوهمية، فهي منطقة الأوزاعي القائمة على الساحل الجنوبي لمدينة بيروت بالقرب من مطار رفيق الحريري الدولي.

ومن المعروف أن هذه المنطقة تعاني الكثير من الإهمال والفقر، وقد يعود ذلك إلى أن عماراتها وأحياءها مبنية بشكل غير شرعي على أراض خاصة وعامة مخالفة لأبسط معايير الهندسة والسلامة العامة.

وحاولت السلطات الرسمية عبر سنوات إزالة المنشآت العشوائية وأخفقت في ذلك لأسباب سياسية معروفة، لتقف شاهدة بعد ذلك على امتداد وتسارع حركة البناء دون قيد أو شرط.

أطلق عياد ناصر على "مدينته" غربية النكهة اسما أجنبيا، وهو "أوزفيل"، ربما نسبة إلى الفيلم الكلاسيكي الأميركي الشهير "ساحر أووز ، ثم شرع في تحويل الأوزاعي إلى "أوزفيل" البحرية بمساعدة فنانين أجانب وبعض الفنانين اللبنانيين و"تجميلها" من خلال طلاء الأبنية بالألوان الصاخبة ورسم الغرافيتي على جدران المنازل المُنهكة.

ويُذكر أن من الرسومات أكثر من رسم يجسد كاريكاتيريا وجه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وقد شارك في مهمة "محاولة تبديل مشهد الفقر والحرمان" أو الأجدر القول، محاولة تمويه المشهد وستر دلالاته الاجتماعية والسياسية والبيئية، أطفال من المنطقة.

لا يمكن إنكار أن لهذا المشروع إيجابيات عديدة من ضمنها مشاركة الأهالي ولا سيما الأطفال في التلوين ورؤية الحياة من منظار الفن مفتوح الأفق، بعيدا عن نظرية "إما قاتل أو مقتول"، وأيضا يُعد الاختلاط بفنانين أجانب أمرا إيجابيا جدا، لأنه يؤمن اللقاء مع الآخر المختلف والشبيه في آن واحد.

كما يؤكد مجددا مشروع تلوين مظهر الواجهة البحرية لبيروت على أنها مدينة منذورة للتناقض ومجبولة بالتناقض، إضافة إلى ذلك لا يجب إغفال المبادرة الفردية التي جعلت هذا المشروع ممكنا، وهي أيضا تأكيد على أن المبادرات الفردية هي أكثر ما يحرك الساكن في مدينة تقاوم الاختناق تحت ضربات الفساد المتتالية، وإن كانت في أحيان كثيرة تخفق في تحقيق ذلك عن غير قصد.

ولكن، ومن الناحية الأخرى يلفت تنفيذ المشروع إلى سذاجة قصوى في النظرة إلى الألوان، فليس للون قيمة إيجابية بحد ذاته، بل يمكن أن يعكس هولا وتشويها وبشاعة، وليس بالضرورة أن يكون اللون، دائما، مهرّجا أو مهرجانا يزرع الفرح والحياة أينما حلّ.

وتكفي رؤية استخدام الألوان الأكثر "فرحا" في أخطر اللوحات التشكيلية المعبرة عن الرعب والموت والأفخاخ المموهة التي تنتظر ضحاياها في سكون احترافي، ونذكر أيضا في هذا السياق أفلام الرعب التي توظف الألوان الصاخبة لإرساء جوّ أصم يُنذر بالأسوأ.

عدا أن معظم الرسومات المنفذة في منطقة الأوزاعي تتميز بنفحة غربية بارزة مسكوبة على جدران هشة ومتقشرة، تريد غير صخب الألوان، لكي تعيش فعلا في حيز آخر، وحتما ضمن منطق آخر.

ويتمنى مؤيدو حملة التلوين العشوائية أن يتمكن عياد ناصر من تلوين كل الشوارع الفقيرة في بيروت، ويتمنى الآخرون ألا يتمكن من ذلك حتى لا تصطبغ الألوان المُستخدمة حينها بقهر ساكني الشوارع وليس العكس، وأيضا كي لا يستحيل البلد إلى مهرج فوضوي وعملاق يضحك في وجه سكانه وزائريه ضحكته المرعبة والنتنة التي تخفي النخر والتشظي وكل شيء بعيد كل البعد عن الفرح.

ربما لئن كان لا بد من "تجميل" تلك المنطقة فزرع النباتات التي تعيش في المناخ البحري، أو ربما ترميم ما يمكن ترميمه حتى إشعار آخر يتعلق بقانونية ما يحدث في تلك المنطقة وغيرها من لبنان، أصوب من رسم ابتسامة متشنجة على وجه منطقة ستغرق بالأمطار والنفايات عند أول زخة مطر شتوية، لتستحيل الألوان المتحللة والمتقشرة إلى ذكرى حزينة تضاعف من مأساوية النظرة إلى الحياة، ولتصبح مُدرجة، هي الأخرى، في خانة الأسى مهما تورّدت نبراتها.